مستويات التحليل في علم السياسة

أنواع مستويات التحليل في دراسة الظواهر السياسية

قد يهتم الباحثون في العلوم الاجتماعية بموضوعات تقع على مستويات مختلفة من التحليل. يشير مستوى التحليل إلى الموضع الذي يتم فيه تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية ضمن نظام تدريجي من التجريد أو التجميع يتم بناؤه تحليليًا. يختلف تعريفه وحدوده عبر تخصصات العلوم الاجتماعية. بشكل عام، يشير **المستوى الجزئي** إلى المستوى الفردي ويركز على مواقف المواطنين أو سلوكيات السياسيين والدبلوماسيين. تركز التحليلات في **المستوى المتوسط (الوسيط)** على المجموعات والمنظمات، مثل الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية والإدارات العامة. أما **المستوى الكلي** للتحليل يتوافق مع الهياكل الوطنية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو المؤسسية – على سبيل المثال، البلدان والأنظمة السياسية الوطنية أو فوق الوطنية.

يعتمد مستوى تحليل دراسة معينة على سؤال البحث. على سبيل المثال يمكن لعلماء السياسة التعامل مع صعود الشعبوية اليمينية في الديمقراطيات الغربية على مستويات مختلفة. قد يدرس الباحثون ما يحفز الأفراد على التصويت للأحزاب الشعبوية، مثل مظالمهم بشأن الوضع الحالي، أو النخب السياسية، أو غير المستحقين. في هذه الحالة يقع سؤال البحث الخاص بهم على **المستوى الجزئي**. بدلاً من ذلك، قد ينظر الباحثون في كيفية تأثير خصائص الأحزاب الشعبوية على النتائج الانتخابية. يمكن أن يتضمن هذا فحص المنصة السياسية، أو القيادة، أو الاختلافات بينها وبين الأحزاب الأخرى. وهنا ينصب التركيز على **المستوى المتوسط**. كما يمكن أيضًا التعامل مع نجاح الأحزاب الشعبوية في الانتخابات من منظور آخر، من خلال النظر في كيفية تفسير التغيير المجتمعي الكبير، مثل الأزمات الاقتصادية والعولمة باعتبارها عوامل مفسرة لظهورها، ويقع هذا النوع من أسئلة البحث على **المستوى الكلي**. ومع ذلك، يمكن أيضًا معالجة سؤال البحث على أكثر من مستوى من التحليل.

دعونا نفكر في قضية مهمة أخرى: وهي أسباب الحرب. صنف كينيث والتز (1992) الأسباب باستخدام ثلاث صور مميزة، تتوافق مع مستويات مختلفة من التحليل المعتمدة في الحقل. تتعلق الصورة الأولى بالنظريات التي تزعم أن الحرب ناجمة عن عوامل تعمل على **المستوى الفردي**، مثل الطبيعة البشرية. وتشير الصورة الثانية إلى النظريات التي تزعم أن الحروب ناجمة في المقام الأول عن **الدول**. وتتناول الصورة الثالثة الحروب على **المستوى النظامي أو الدولي**، مع التركيز بشكل خاص على طبيعتها الفوضوية.

وترتبط مستويات التحليل أيضاً باختيار النظرية. وتسلط بعض النظريات الضوء على التفسيرات التي تقع على مستوى محدد. ولنتأمل هنا فرعين من فروع المؤسسية الجديدة التي نوقشت على نطاق واسع في مختلف العلوم الاجتماعية: الاختيار العقلاني والمؤسسية الجديدة التاريخية. حيث يرى رواد المؤسسية الجديدة الذين ينتمون إلى الاختيار العقلاني أن الأفراد المهتمين بمصالحهم الذاتية يختارون المؤسسات على أساس تفضيلات خارجية. على سبيل المثال تظهر الأبحاث المتعلقة بالتحول الديمقراطي أن الحكام الأثرياء يعارضون التحول الديمقراطي عندما يكون التفاوت في الدخل مرتفعاً لأنهم يخشون إعادة التوزيع من قِبَل الحكومات الشعبية. وسوف تسير إعادة التوزيع في الاتجاه المعاكس لمصالحهم. وعلى هذا فإن نهجهم يركز على مختلف الفواعل ـ أو بعبارة أخرى، يتجه نحو **المستوى الجزئي**.

وعلى النقيض من ذلك يزعم أصحاب المؤسسات الجديدة التاريخية أن المؤسسات القائمة وتطورها بمرور الوقت تشكل تفضيلات الفواعل ويمكنها أن تغير علاقات القوة والتحالفات. ومن الأمثلة على ذلك الأعمال التي تناولت كيفية تشكيل جماعات المصالح لمصالحها الخاصة. لقد ثبت أن مصالح الشركات في التجارة العالمية تتشكل جزئيًا من خلال اللوائح الحالية والإجراءات الحكومية، وبالتالي تختلف عبر السياقات المؤسسية. لذلك من وجهة نظر هؤلاء الباحثين، فإن تفضيلات الفواعل تتشكل داخليًا. وبالتالي يركز نهجهم على **المنظمات والمؤسسات على المستوى المتوسط** من أجل مراعاة التفضيلات والنتائج السياسية.

كما يوفر النقاش المعرفي الرائد بين الفردية المنهجية والكلية، فضلاً عن مشكلة الوكالة مقابل البنية، توضيحات إضافية لكيفية تضمين النظريات أحيانًا في مستوى واحد من التحليل. وكقاعدة عامة يجب أن يكون لسؤال البحث والنظريات نفس مستوى التحليل. في البحث يكون لمستوى التحليل آثار على اختيار وحدات التحليل والملاحظة. وبصورة عامة يشكل هذا أساليب جمع البيانات وتحليل البيانات. حيث تتكيف بعض أساليب البحث بشكل أفضل مع الملاحظات على مستوى معين من التحليل.

ف على سبيل المثال يعد البحث المسحي قويًا عندما يتعلق الأمر بجمع البيانات الفردية. ومع ذلك لا ينبغي الخلط بين مستوى جمع البيانات ومستوى تحليل البيانات. على سبيل المثال يمكن استخدام تقنيات المقابلة لجمع البيانات حول **الشخص** (الفرد) الذي أجريت معه المقابلة، ولكنها يمكن أن تكون أيضًا مفيدة للغاية حول **المؤسسة** التي يعمل بها الشخص الذي أجريت معه المقابلة. بعبارة أخرى يمكن تحديد التفسير (ما يهدف البحث إلى شرحه) والتفسيرات (التفسيرات)، ووحدة التحليل، وجمع البيانات على مستويات مختلفة.

الجمع بين مستويات التحليل المختلفة في فهم الظاهرة السياسية

في العلوم الاجتماعية عموما والعلوم السياسية على وجه الخصوص يعد البحث على مستوى واحد من التحليل أمرًا شائعًا للغاية. ومع ذلك لا يقتصر البحث بالضرورة على مستوى واحد من التحليل. يمكن اكتساب قوة تحليلية من خلال دراسة كيف يمكن للعمليات أو العلاقات أو التأثيرات التي يتم النظر إليها نظريًا على مستوى واحد من التحليل أن تؤثر (أو تنشأ من) ما يحدث على مستوى مختلف من التحليل.

توضح الأدبيات حول ردود الفعل السياسية القيمة المضافة للتحليل متعدد المستويات. ففي كتابها عن المتقاعدين الأمريكيين، توضح الباحثة "أندريا كامبل" (2003) أنهم مواطنون فائقون. إن مستوى مشاركتهم السياسية أعلى بكثير مما يمكن تفسيره بعوامل على مستوى الفرد (الدخل أو العمر أو التعليم). فهي توضح أنه يجب النظر في التفسيرات على **المستوى الكلي:** أي السياسات العامة التي تفيد المتقاعدين وتؤدي إلى نتائج محددة على **المستوى الفردي**.

من ناحية أخرى توفر الأسباب المذكورة أعلاه (سالفا) للحرب توضيحًا إضافيًا للرؤى التي يمكن اكتسابها من التحليل متعدد المستويات. ففي هذا الصدد يزعم "ليفي وثومبسون" أنه إذا أردنا أن نفهم أسباب الحرب بشكل كامل، فيتعين علينا أن نعترف بطبيعتها المتعددة المستويات. وبهذه الطريقة يتحول السؤال من تحديد المستوى الأكثر أهمية إلى تحديد كيفية تفاعل العوامل على مستويات مختلفة من التحليل. وبهذا المعنى صُممت التحليلات المتعددة المستويات لمعالجة مشكلة عدم التناسب. وتسعى التحليلات الكمية المتعددة المستويات على وجه الخصوص، إلى حل المشكلة ليس فقط من خلال بناء نماذج تفسيرية على مستوى واحد، بل وأيضاً من خلال نمذجة التأثيرات والتفاعلات بين المستويات المختلفة. وأخيراً تعد التحليلات المتعددة المستويات مفيدة عندما يتعلق الأمر بتجنب مشكلة المقاييس، حيث قد يتم التأكيد بشكل مبالغ فيه على المستوى المختار للتحليل، بغض النظر عما يحدث على مستويات أخرى من التحليل.